

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقا







فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقا

الميراث النبوي للنشر والتوزيع



الطبعة الأولى لدار الميراث النبوي

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

العلم ميراث النبي كذا أتى   في النص والعلماء هم وراثه
ما خلَّف المختار غير حديثه   فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني: 186 -2010

ردمك: 978-9947-944-72-1



برج الكيفان - الجزائر

الإدارة : جوال: 554250098 / 668885732 (00213) المبيعات : 550103691 (00213)

البريد الإلكتروني : Dar.mirath@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة.

أيها الإخوة والأبناء، إنها لفرصة سعيدة أن نلتقي لنتذاكر في أمرٍ من أمور ديننا لعل الله -تبارك وتعالىٰ- أن ينفعنا جميعًا بهذه المذاكرة، والعنوان كما سمعتم «**من القلب إلىٰ القلب**»، ولست والله بالمدَّعي لهذا، ولا أدري من الذي وضع هذا العنوان، فأنا لا أضمن أن كلامي يخترق القلوب ويؤثِّر فيها فهذه دعوة عريضةٌ كبيرة، كلام الله ﷻ يهدي الله به كثيرًا ويُضِلّ به كثيرًا، والأنبياء كثيرٌ منهم لم يُسمَع لكلامهم، ويأتي النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرهيط، والنّبي ومعه الرجل والرجلان، ويأتي النبي وليس معه أحد[1]، فلا ندّعي مثل هذه الدعاوىٰ، ولكن نحسن الظن بكثير من إخواننا - إن شاء الله-، ونظن أن هذه المذاكرة سيستفيدون منها.

و[illegible] أن الكلام عن القلوب، فسأتحدث بما أستطيع عما تحدث الله ورسوله عنها، وما وصف الله به هذه القلوب،

---

(١) كما جاء في الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أخرجه البخاري برقم (٥٣٧٨)، ومسلم برقم (٢٢٠).

وهناك قلوب مؤمنة، سليمة؛ منيبة إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ- تخشىٰ الله، وهناك قلوبٌ قاسية، وهناك قلوبٌ مُغَلَّفة، وهناك قلوب في أكِنَّة، والله -تبارك وتعالىٰ- يفتح مغالق هذه القلوب إذا شاء الهداية لمن شاء من عباده، ويقبض ويضرب الأقفال والأغلال علىٰ قلوب من أراد الله له الهوان والعذاب - والعياذ بالله - في الدنيا والآخرة.

✍ وسأذكر بعض الآيات وما يحضرني من حديث الرسول -عليه الصلاة والسلام - في وصف هذه القلوب.

الله -تبارك وتعالىٰ- وصف المؤمنين في أول سورة البقرة، ووصف قلوب المنافقين، ووصف قلوب الكافرين في أول هذه السورة، فبيّن أن هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يتطرّق إليه الشك والريب، تهتدي به قلوب المتّقين المؤمنين، وذكر صفات هؤلاء المتقين المؤمنين بأنهم يؤمنون بالله ويؤمنون بالغيب إلىٰ آخره، وقال: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، وقال عن الكافرين: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]، فختم الله علىٰ

قلوب الكافرين، فلا تهتدي بهذا الكتاب، ولا تقبل الحق، ولا يخرج منها الباطل الذي غرسه الشيطان في نفوسهم، وتحدّث عن المنافقين فقال: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ١٠] والعياذ بالله.

فمن أسباب هذا النفاق: الكذب، تمكّن الباطل من قلوبهم، فأنهكها وأمرضَها فأصبحت لا تقبل الحق، من أدوائها الكذب، ولهذا يجب علىٰ المسلم أن يتحرّىٰ الصدق حتىٰ يُكتَب عند الله صدِّيقًا، ويجب أن يتجنب الكذب لأن الكذب من صفات المنافقين كما بيّنت هذه الآية، وكما بيَّن رسول الله ﷺ علامات المنافقين.

فعلامة المنافق: « إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[1].

هذه من صفات المنافقين من كتاب الله، ومن سنة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٤)، ومسلم في صحيحه برقم (٥٨)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

رسول الله – عليه الصلاة والسلام – .

ويا إخوة هذه والله مذاكرة لنستفيد، يظن بعض الناس ويتحسّس كلما تكلم مسلم.

فلنتّق الله يا إخوتاه، وليستفد بعضنا من بعض، ولنحسن الظن ببعضنا، ولنترك التُّهم التي هي من أخلاق المنافقين، نترك هذه الأخلاق الرذيلة، نتحرّىٰ الصدق، ونتحرّىٰ العدل، ونتحرّىٰ الإنصاف، ونربّي أنفسنا وأبناءنا علىٰ الصدق، وعلىٰ حب الحق، وعلىٰ نصرة الحق، نوالي فيه ونعادي فيه ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، هذا الصنف يكتب الله في قلوبهم الإيمان كتابةً لا تُمحَىٰ، هذه من فوائد الولاء في الله والحب في الله والبغض في الله.

وقد يكتب الله النفاق والخبث والشر في نفس من يوالي في الشيطان ويعادي في الشيطان ويعادي من أجل هواه، ويوالي من أجل هواه، وهذه الظاهرة الآن متفشِّية، فيجب أن نعالج أنفسنا من أمثال هذه الظواهر المهلكة المدمّرة للعقيدة

والخُلُق، هؤلاء كتب الله في قلوبهم الإيمان بسبب حبهم لله، حبهم الصادق لله ﷻ يدفعهم ألا يحبّوا أعداء الله ولو كانوا أقربائهم وعشائرهم وإخوانهم وأمهاتهم... لأنهم أحبوا الله بصدق، دون دعاوىٰ، فهذه من علامات الصادقين، وعلامات الكاذبين، فالصادق الذي يحب الله بصدق، والمؤمن الصادق يحب في الله ويبغض في الله، ولهذا قال رسول الله: **«أَوْثَقُ عُرَىٰ الإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضِ فِيهِ»**.[1]

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٨٦)، والطيالسي في "المسند" برقم (٧٤٧)، وابن أبي شيبة في كتاب الإيمان برقم (١١٠) وفي المصنف (٢١٩/١١)، وأخرجه في ((المصنف)) (١١/ ٤١) بلفظ: (أوثق عرىٰ الإيمان)، وابن أبي الدنيا في "الإخوان" (ص ٣٥، برقم ١)، وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٣٩٣)، والبيهقي في الشعب برقم (١٤)، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما.

قال الهيثمي في المجمع: (١/ ٩٠): "وفيه ليث ابن أبي سليم، وضعفه الأكثر".

=

نحن نجد الآن أناسًا يتولّون أهل البدع والضلال ولو سبّوا الأنبياء، ولو سبّوا الصحابة، ولو كفّروا الأمة يتولّونهم ويستميتون في الذب والدفاع عنهم، ويعادون أهل السنة والحق من أجل أهل البدع الكبرىٰ والضلال، هل هؤلاء

=

وأخرجه الطبراني في ((الكبير)) (١١/ ٢١٥) برقم (١١٥٣٧)، والبيهقي في الشعب برقم (٩٥١٣)، والبغوي في شرح السنة (٣/ ٤٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وأخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (١١/ ٤٨)، والطيالسي في المسند برقم (٣٧٨)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٧١ و٢٢٠) والأوسط برقم (٤٤٧٩) والصغير برقم (٦٢٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٢، برقم ٣٧٩٠)، والبيهقي في كتاب الأدب رقم (٢٢٨)، والخرائطي في ((المنتقىٰ-للسلفي)) برقم (٣٧٩)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قال الهيثمي: (١/ ٩٠): "فيه عقيل بن الجعد". وحسنه الألباني لمجموع طرقه في ((الصحيحة)) حديث رقم (٩٨٩) و(١٧٢٨)، وفي تعليقه علىٰ ((الإيمان)) لابن أبي شيبة: (٤٥).

صادقون في دعوىٰ الإيمان؟!

فاتقوا الله أيها الأخوة في أنفسكم، لأن التعصب الأعمىٰ دفع كثيرًا من الناس إلىٰ أن يحارب الحق، يعرف أن فلانًا علىٰ الحق، ويكتب الحق، ويصدع بالحق، فيعاديه من أجل ماذا؟! من أجل أهل الباطل! ومن أجل الباطل! فيُصبح من الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا!

كيف تحب إنسانًا يطعن في الأنبياء عليهم السلام؟! ويطعن في صحابة رسول الله ويُكفّرهم! وتوالي في هذا الضال المضلّ! وتعادي أهل الحق من أجله؟! وتوالي أهل الباطل والأهواء من أجله؟! هذا شيء موجود لا يستطيع أن يكابر فيه منصف، ومع الأسف ظاهرة خطيرة جدًّا في المتدينين، في الملتزمين تجد هذا البلاء الفتاك الذي يفتك بالدين ويفتك بالعقيدة، ويفتك بالأخلاق، وترتب علىٰ هذا إشاعات الكذب والافتراءات التي لا تصدر إلا من قلوب مريضة كما وصف الله قلوب المنافقين المرضىٰ، فلنعالج أنفسنا من هذا الداء، وهو واللهِ أولىٰ بالعلاج من أمراض الإيدز! والأمراض الفتاكة الأخرىٰ، هذا المرض يفتك بالإيمان،

ويفتك بالعقيدة، ويمزِّق المجتمع، ويجعل الولاء والبراء في الشيطان لا لله -تبارك وتعالىٰ-، يجعل الولاء والبراء للشيطان، وإن كان لفلان وفلان فمآله أنك توالي للشيطان، توالي فيه وتعادي فيه، وتحارب من أجله الحق، وتنصر من أجله الباطل، فلنتق الله في أنفسنا، ولننظر أين نحن؟ هل نحن ممن وصفهم الله - تبارك وتعالىٰ- كما قال إبراهيم - عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء ٨٧ - ٨٩].

انظر يا أخي هل قلبك سليم أو مريض؟! أقلبك حيٌّ أو ميت؟!

فَأَحْيِهِ بالحق، واطلب الحق من كتاب الله ومن سنة رسول الله - عليه الصلاة والسلام -، واجعل الحق ضالتك، خذه من أي شخص كان، ولا نكون مثل اليهود - والعياذ بالله - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٩١]، يعني ما يعرفون الحق ولا يقبلونه إلا من

كتبهم[(١)]! وهُم كذّابون،حتىٰ في هذا لا يصدقون.

بعض الناس الآن لا يقبل إلا ما جاء من فلان وفلان، أما إذا جاء من غيره يردّه، ويحكم عليه جزافًا بأنه باطل، والله - تبارك وتعالىٰ- يطلب التبيُّن ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، تبيَّن: أي تثبَّت، يعني كلام تأخذه وتنشره قبل أن تتبيَّن ما حقيقته! أنت نَشَّار للكذب! الإشاعات الكاذبة حالت بين كثير من الشباب وبين الحق، ودفعتهم إلىٰ الباطل، وإلىٰ تولّي أهل الباطل، وإلىٰ نصرة أهل البدع الكبرىٰ -لا أقول البدع الصغرىٰ- .

الإشاعات الكاذبة والافتراءات ضد أهل الحق شوّهت جمال الحق، وحالت بين الناس وبين الحق، وصدّتهم عن سبيل الله، فأصبحوا لا يقبلون الحق إلا من فلان وفلان، حتىٰ لو كان كلام فلان باطلًا جعلوه حقًّا!

---

(١) انظر: منهاج السنة (٥/ ١٦٨-١٦٩) ومجموع الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ١٠٠)، ومسائل الجاهلية للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، (المسألة الثامنة عشرة).

هذا مرضٌ فتّاك يا إخوتاه؛ هذا هو مرض القلوب، هذا هو مرض القلوب الذي يجب أن تحتشد القوىٰ كلها لعلاج هذا المرض الفتّاك. واللهِ أبناء البوسنة يُدمَّرون بأسلحة الأعداء، أهون والله من القتل بأسلحة الباطل، والله أهون من قتل النفوس، ومن قتل القلوب، الذي يُقتَل مظلومًا نرجو له الجنة، لكن الذي يموت قلبه والحق أمامه، الحق بين يديه وهو يفر منه ويركض وراء الباطل ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء ٨٩].

انظر هل قلبك سليم؟! القلب السليم هو الذي يحارب الشرك ويرفض الباطل، ويقبل الحق، ويرد الباطل بكل قوة، هذا قلبٌ سليم، فإذا رأيت نفسك أنك تقبل الحق ولو من يهودي(١)، أو نصراني، أو مسلم، تقبل الحق، رائدك الحق،

---

(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود - رضي الله عنه - قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ - صلىٰ الله عليه وسلم - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ =

بُغيتك الحق، فوالله قلبك سليم، وعقلك سليم(١).

وإن رأيت نفسك أنك ترفض الحق إذا جاء من جهة معينة وتقبل الباطل إذا جاء من جهةٍ معينة وتجعله حقًا فاعلم أن قلبك مريض! لأن الذي يقابل القلب السليم القلب المريض، الذي يتقبّل الباطل، ويعشّش فيه الباطل، ويسرح ويمرح فيه الشياطين، وتنفر منه الملائكة فلا تُسدّده، وتوسوس فيه الشياطين فينقاد لهذه الوساوس، هذا القلب المريض يجب أن يُعالَج، وفي هذا القرآن شفاءٌ للناس، شفاء لأمراض القلوب، وأمراض الأبدان، فلنعالج أنفسنا بهذا القرآن، ونربّي أنفسنا علىٰ عقائده، وعلىٰ الرجولة، وعلىٰ حب الصّدق والحق

النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم – حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ – صلىٰ الله عليه وسلم –: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الزمر:]. أخرجه البخاري برقم (٤٨١١)، ومسلم برقم (٢٧٨٦).

(١) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم –رحمه الله– (١/ ٧–٨)– حامد الفقي.

والولاء فيه والبراء من الباطل وأهله ولو كانوا آباءنا أو أبنائنا أو إخواننا أو عشيرتنا، هذا القلب السَّليم؛ القلب المُنيب؛ هو نفسه لكن العبارات تختلف، قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣١-٣٣].

القلب المنيب؛ الرجّاع إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، الأواب إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ.

فانظر إلىٰ نفسك واللهِ لا ينفعك مالٌ ولا بنون يوم القيامة ولا أصدقاء ولا غيرهم، ما عندك إلا سلامة القلب هي التي ستنفعك يوم القيامة، سلامة هذا القلب، وإنابة هذا القلب إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، هذا من يأتي بقلب منيب تُقَرَّب له الجنة، ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق ٣١-٣٢].

حافظ لحدود الله، ملتزم بحدود الله، ملتزم بأوامر الله، مبتعد عما يغضب الله -تبارك وتعالىٰ-، محافظ علىٰ طاعة الله وعلىٰ حقوق الله في الدرجة الأولىٰ، وعلىٰ حقوق العباد، يحترم أعراضهم؛ «فَإِنَّ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ

حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»، إذا كنت تدافع عن الحق فبيِّن صاحب الباطل وتكلّم بما فيه، فهذا جهاد، أما أن تفتري علي المسلم وتنتهك عرضه فهذا من أشد المحرمات! «**كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»، هذا قاله الرسول -عليه الصلاة والسلام- في حجة الوداع[1] ليُقَرِّر حرمة المؤمن، حرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمة الكعبة[2]، حُرمة المؤمن ليست سهلة، لا

---

(١) كما في حديث ابن عباس وأبي بكرة وابن عمر وجابر بن عبد الله -رضي الله عنهم-؛ انظر: صحيح البخاري برقم (١٧٣٩) و(١٧٤٢) و(١٧٤٣)، ومسلم برقم (١٢١٨) و(١٦٧٩).

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نظر رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم- إلىٰ الكعبة، فقال:

«ما أعظم حرمتك! وللمؤمن من أعظم حرمة عند الله منك؛ إن الله حرَّم منك واحدة، وحرَّم من المؤمن ثلاثًا: دمه، وماله، وأن يظنَّ به ظنَّ السوء».

رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٩٦-٢٩٧، برقم ٦٧٠٦). قال الألباني -رحمه الله-: "إسناده حسن". وذكر له شواهد في الصحيحة: برقم (٣٤٢٠).

نستهين ونستخف بأعراض الناس، إذا كان مبتدعًا ضالًّا أو كافرًا مشركًا فيه خطر علىٰ الناس بيِّن، هذا من الجهاد بشرط أن تخلص لله -تبارك وتعالىٰ - لا لهواك، فإذا كان لهواك ولشفاء غليل حقدك، فهذا لا يصدر من قلب سليم، واللهِ لو كنت علىٰ الحق وأنت تريد أن تشفي قلبك وغليل حقدك من إنسان، لكان هذا خطر عليك، وكان هذا دليل وبرهان أنّك فاسد القلب[1]، فالجهاد في سبيل الله بالسيف والسنان والقلم والبيان يحتاج إلىٰ إخلاص، واللهِ لو استُشهد في سبيل الله، وقُطِّع إربًا إربًا وهو لا يريد بهذا الجهاد في سبيل الله لكان من أهل النار، ولو أنفق مثل جبال الدنيا ذهبًا وفضة وهو لا يريد وجه الله -تبارك وتعالىٰ- لكان من أول من تُسَعَّر به النار[2].

---

(١) انظر: [الفرق بين النصيحة والتعيير] للحافظ ابن رجب -رحمه الله- (ص: ٢٥-٣٣).

(٢) كما جاء في الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَىٰ الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ =

فالإنسان في كلامه، في دعوته، في ذبه عن الحق والسنة، لا يكفي أن تقول الحق، لا بد أن يرافق ذلك الإخلاص وحُسن نية وحُسن قصد، لو تكلمت بالحق لهواك، ولهدف من أهدافك الدنيوية، ما تكون قد أردت وجه الله، ولا كان هذا كلامٌ صادرٌ

= جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ يَقْتَتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ. وذكر فيه: يقول الله -للقارئ-: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلانًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ -للمنفق-: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. وَيَقُولُ اللهُ -للمقتول-: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَىٰ رُكْبَتِي فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلاثَةُ أَوَّلُ خلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

رواه الترمذي- وحسّنه-: برقم (٢٣٨٢)، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ١١٥، برقم ٢٤٨٢)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ١٣٥، برقم ٤٠٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٧٩، برقم ١٥٢٧)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد".

وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٨، برقم ١٣٣٥). وأصله عند مسلم بغير هذا اللفظ برقم (١٩٠٥).

من قلب منيب، ولا من قلب سليم.

فأمر القلب أمرٌ عظيمٌ يا إخوتاه، إذا صلح هذا العضو؛ هذه المضغة صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله[1] ولا سيّما اللسان، ففساد الكلام يدل علىٰ دغَل، وفسادٍ في القلب، هذا من الأدلة علىٰ النّفاق، وعلىٰ فساد القلوب، ووصف الله - تبارك وتعالىٰ- في المقابل قلوب المؤمنين: قلوب منيبة، قلوب سليمة، وقد ذكرت لكم من أوصاف قلوب المنافقين أنها مريضة كما وصفها الله، ومن قلوب الكافرين ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [فصلت: ٥].

مع الأسف أن مثل هذه الأوصاف ليست قاصرة علىٰ الكافرين ولا علىٰ المنافقين، بل والله موجودة في كثير من

---

(١) إشارة إلىٰ ما جاء في الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما-: البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).

أهل الباطل من المنتسبين إلىٰ الإسلام[١]، لسان حالهم هذا وإن لم يكن لسان مقالهم، لكنهم صرحوا وقالوا قلوبنا في أكنّة، يعني؛ ما نفهم ولا نقبل ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ٥]، وقال الله فيهم: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

هذه توجد عند كثير من أهل الباطل وأهل البدع، يعرف الدعوة السلفية شرّقت وغرّبت في أوساط أهل البدع وهم كثيرون، ثلاث وسبعين فرقة، شرّقت وغربت وانتشرت الكتب وانتشرت الأشرطة، وذهب الدعاة هنا وهناك، وهدىٰ الله بعض الناس، وكثيرٌ منهم لسان حالهم ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ٥]، بل بعض القلوب تسمع رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: مسائل الجاهلية للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- (المسألة السابعة عشرة).

يتكلم ما تدري ماذا يقول، تسمع رسول الله ﷺ وهو يقول: ماذا يقول، قال الله عز وجل في سورة «محمّد» ﷺ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

رسول الله يحدّثهم، أفصح الناس وأبلغ الناس، وإذا تكلّم بكلام لو شاء العادُّ أن يعدّه لعدّه[١]، لو شاء أن يحصيَهُ لأحصاه بسهولة كلمة كلمة، بل أحيانًا يتكلم بالكلمة ثلاث مرات لتُفهَم عنه[٢]، ويخرج هؤلاء المطبوع على قلوبهم يقولون: ماذا قال آنفًا؟ ما يفهمون، فنحن ما نريد للشباب المسلم أن يكون فيه من هذه الطباع ومن هذه الأخلاق، نريد منهم حب الحق والرجولة والتأنّي والتثبّت والتعقل والاتصاف بأوصاف العقلاء، وأوصاف المؤمنين الصادقين الذين يحبّون الحق ويؤثرونه ويضحّون من أجله بالنفس والمال والولد، نريد

---

(١) قالته عائشة رضي الله عنها في صفته صلىٰ الله عليه وسلم؛ أخرجه البخاري برقم (٣٥٦٧)، ومسلم برقم (٢٢٧٢).

(٢) رواه أنس عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم؛ أخرجه البخاري برقم (٩٥).

شبابًا من هذا النوع، لا نريد شبابًا فيه من هذه الصفات صفات المنافقين-والعياذ بالله- التي لا يخلو منها كثيرٌ من المنحرفين عن هدْيِ الله -تبارك وتعالىٰ- ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، فأحيانًا القلوب تكون عليها أقفال، أقفال الله يعلمها، يقفل عليها، ما يدخل فيها الحق، ولا يخرج منها الباطل، كما قال في هذه السورة «سورة محمَّد» عن المنافقين.

فهذه لمحة، أعني أصناف قلوب الناس، قلوب المؤمنين وقلوب الكافرين، وقلوب المنافقين، ونحن نرجو الله -تبارك وتعالىٰ - ونضرع إليه أن يجعل قلوبنا حيّة، مؤمنة، صادقة، تحب الحق، وتقبله وتتشربه، ولا تكون كما وصف رسول الله -عليه الصلاة والسلام- في الحديث: « **إِنَّ الْفِتَنَ تُعْرَضُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّمَا قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّمَا قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلْبَيْنِ: قَلْبٍ أَبْيَضَ كَالصَّفَاةِ لا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَقَلْبٍ أَسْوَدَ مُرْبَادًّا، كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا**

لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»(١)، فنعوذ بالله من الفتن، نعوذ بالله من الفتن.

وقد قال رسول الله ﷺ: **«اِسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، اِسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، اِسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ»**(٢) والله ما أخطرها، فكثيرٌ من القلوب تتشرّب الفتن، وتَسوَدُّ القلوب بذلك، وتنتكس انتكاسة لا تفيق منها إلىٰ يوم القيامة -والعياذ بالله-، فلا تقبل معروفًا ولا تنكر منكرًا إلا ما أشربت من هواها.

فهذا مآل الفتن التي تشرئب إليها نفوس كثير من الناس ثم يقعون فيها فيصير مآلهم هذا المآل الخطير، فمن وقع في شيء من هذا فليرجع إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، ولنستحضر ما سبق من الآيات التي ذكرها الله ووصف بها أعداءه حتىٰ يتجنبها ويتقيها المؤمنون وليعرف أوصاف المؤمنين والقلوب الطيبة السليمة حتىٰ يحاول المؤمن أن يكون من هذا الصنف؛ الصنف الطيب من أهل الجنة التي تُنال بسلامة

---

(١) رواه مسلم، برقم (١٤٤)، من رواية حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

(٢) انظر: صحيح مسلم برقم (٢٨٦٧)، عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه-

القلوب وسلامة الأعمال وصحتها.

هناك حديث يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطبهم في حجة الوداع، فقال: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، ثُمَّ قَالَ: ثَلاثٌ لا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٌ؛ الإِخْلاصُ لِلَّهِ، وَالْمُنَاصَحَةُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ**»[١].

يعني إذا قامت هذه الثلاث بقلبٍ صار قلبًا مؤمنًا سليمًا، لا يغلّ عليها يعني: لا يَغِلُّ، أو لا يُغِلُّ، أو لا يَغِلُ، رُويت بثلاثة ألفاظ: لا يُغِلّ من الإغلال وهو الخيانة في كل شيء، أو لا يَغِلُّ من الغِلّ يعني لا يدخله حقدٌ ولا حسد يزيله عن

(١) رواه البزار وإسناده حسن؛ قاله المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٢٣)، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٣٥٣-٣٥٤): " رواه البزار ورجاله موثقون إلا أن يكون شيخ سليمان بن سيف سعيد بن بزيغ فإني لم أر أحدًا ذكره . وإن كان سعيد بن الربيع فهو من رجال الصحيح فإنه روىٰ عنهما. والله أعلم ". وقال الألباني: صحيح لغيره. صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢، برقم ٤).

الحق، أو لا **يَغِلُ** - بالتّخفيف - يعني لا يدخل في الشر[١].

يعني القلب الذي تتوفّر فيه هذه الثلاث: الإخلاص لله، والمناصحة وعدم الغش لأئمة المسلمين، ولزوم الجماعة؛ لزوم جماعة المسلمين، إذا توفّرت هذه الثلاثة في قلبٍ فهو قلبٌ نظيف، ليس فيه خيانة، ليس فيه شر، ليس فيه دغل: يعني أن قلبه سليم، كما قال الله علىٰ لسان إبراهيم: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٧-٨٩]، فإذا اختلت واحدة من هذه الثلاث، أو انتفت كلها من قلبٍ فهو قلبٌ ليس بسليم، هو قلبٌ مريض عليل، يحتاج إلىٰ جهد جهيد ومعالجات، ومن يتولىٰ هذا؟! كل إنسان يتولىٰ علاج نفسه، ويلجأ إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ- أن يشفيه من هذه الأدواء.

ثلاثٌ لا يَغلّ أو لا يُغلُّ أو لا يَغِلُ - روي بهذه الألفاظ - لا يُغلّ من الإغلال وهو الخيانة في كل شيء، ولا يَغِلُ يعني

(١) انظر: [النهاية في غريب الحديث والأثر] لابن الأثير، مادة (غلل).

لا يدخل في الشر، ولا يَغِلُّ يعني لا يكون فيه حقد يزيله عن الحق، فإذا سلِم من هذه الأشياء، وتمثّلت فيه هذه الخصال الثلاث خصال، كان قلبُه قلبًا سليمًا، ليس فيه أي غِلّ ولا إغلال ولا غِلُ.

هذه الأحاديث، وهذه الآيات يجب أن نتربىٰ عليها، ما نقرأ كلام الله وكلام الرسول ﷺ ونحفظ هكذا دون وعي -كما سيأتي - ليقال فلان قارئ أو فلان عالم أو ليُقال كذا ممن تُسَعَّر بهم النار، ونعوذ بالله من الرياء ونعوذ بالله من حب السُّمعة.

فهذه صفات القلوب وأنواعها، نبدأ نتكلم علىٰ الإخلاص لله -تبارك وتعالىٰ- الإخلاص، والتوكل، والرغبة، والرهبة؛ هذه أمورٌ قلبية، إذا تحدّثنا عن القلب فينبغي الحديث عن هذه الأشياء؛ لأن لها صلة وثيقة بهذا القلب - قلب المؤمن أو قلب الفاجر - لأن هذا القلب إن صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، فهنا آيات تأمر بالإخلاص لله - تبارك وتعالىٰ- ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، هذه تفاصيل الإخلاص؛ إخلاص الدين لله، ليس فيه شرك، ليس فيه رياء، ليس فيه فساد، خالص من كل الشوائب ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]،

عبادة لله خالصة، فيها إقامة الصلاة، فيها إيتاء الزكاة، ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ كأن الله -تبارك وتعالىٰ - حصر التكاليف في الإخلاص وما يتعلق به[1]، وهذا يدل علىٰ أهمية الإخلاص لله-تبارك وتعالىٰ- والله يقول في سورة الزمر: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر ١-٣].

فالله أمر نبيَّه ﷺ، وأنزل عليه الكتاب هذه نعمة عظيمة جدًّا، بماذا تكافئ هذا؟ ما هو شكرك لله - تبارك وتعالىٰ-؟ أن تعبد الله مخلصًا له الدين، وهذا الأمر للنبي -عليه الصلاة والسلام-، وهو أسوتنا -عليه الصلاة والسلام-، هذا الكتاب كما هو نعمة علىٰ رسول الله -عليه الصلاة والسلام -، هو نعمة علىٰ هذه الأمة، نعمة عظيمة، فلتعبد هذه الأمة ربَّها - سبحانه وتعالىٰ - مخلصةً له الدين ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾

(١) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: « العبادة لا تسمّىٰ عبادة إلا مع التوحيد، كما أنّ الصلاة لا تسمّىٰ صلاة إلىٰ مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدتْ كالحدَث إذا دخل في الطهارة». القواعد الأربع (١/ ١٩٩- ضمن مؤلفات الشيخ)، ط١، جامعة الإمام.

[الزمر: ٣]، لا يقبل سواه، ما يقبل الباطل، لا يقبل شريكًا أو مشارَكة، بل لا يقبل منا إلا دينًا خالصًا وعبادة خالصة وإسلامًا خالصًا وإيمانًا خالصًا لا يخالطه شركٌ ولا بدع ولا ضلال ولا شيء، خالص مصفًّىٰ من كل الشوائب، فليحرص كلُّ واحد منّا أن يكون مخلصًا، وأن يكون دينه خالصًا لله، ليس لأحدٍ فيه شيء، لا لقريبٍ ولا لبعيدٍ ولا لملك مُقَرَّب، عبادته لله، طاعته لله، حركاته لله ﷻ، قلبه لا يخشىٰ إلا الله، ولا يحب إلا لله، يكون دينه خالصًا، وقلبه سليمًا لله، والإخلاص ارتباطه وثيق بالقلب، من أين ينبع الإخلاص أو الرياء؟! إلا من هذا القلب! الإخلاص أو الشرك أو الحق أو الباطل أو البدع أو الضلال كلها من القلب، فلنجعل ديننا خالصًا لله -تبارك وتعالىٰ- .

في هذه السورة أمر الله رسوله ﷺ مرات بالإخلاص، يأمر الرسول -عليه الصلاة والسلام- ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر ١١-١٢]، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر ١٤-١٥].

فأمر الإخلاص أمرٌ عظيمٌ يا إخوتاه، يجب والله أن نهتم به، وكلما يغفل الإنسان يجب أن يتدارك نفسه؛ لأن الأمر خطير، واللهِ إن الأمر لخطيرٌ جدًا، أمر خطير والله في كل قضية، لأن الرياء والشرك وما شاكل ذلك منافيان للإخلاص، ينافيان الإخلاص.

فانظر إلىٰ رجل يقول للنبي ﷺ: «الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: **مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[(١)].

وقال رجل (في حديث آخر): **يَا رَسُولَ اللهِ! الرَّجُلُ يُقَاتِلُ يُرِيدُ الأَجْرَ وَالمَغْنَمَ، فَمَا لَهُ؟ قَالَ: «لا شَيْءَ لَهُ»، فَأَعَادَهَا ثَلاثًا، والرسول يقول: «لا شَيْءَ لَهُ»**[(٢)]، لماذا؟ لأن هذا شيء

(١) رواه البخاري برقم (١٢٣)، ومسلم برقم (١٩٠٤)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن المبارك في الجهاد (٢٢٧)، وأحمد (٢/ ٢٩٠، ٣٦٦)، وأبو داود في السنن برقم (٢٥١٦)، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٤٩٤، برقم ٤٦٣٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٩٤، برقم ٢٤٣٦)، وعنه البيهقي (٩/ ١٦٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الألباني -رحمه الله-: =

خالطه غير إرادة وجه الله، إرادة أخرى، قال الرسول ﷺ: «**لاَ شَيْءَ لَهُ**».

فلابد أن يكون العمل متمحِّضًا خالصًا لله؛ صلاةً أو صومًا أو جهادًا أو تعلّمًا أو تعليمًا، لا بد أن يكون خالصًا لله، وهذا والله أمرٌ خطير والله يقول: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ

"إسناد ضعيف، رجاله ثقات رجال الشيخين؛ غير ابن مكرز،لكن للحديث شاهد- من حديث أبي أمامة- عند النسائي؛ جوَّد إسنادَهُ المنذريُ في [الترغيب]، تراه في كتابي [صحيح الترغيب] برقم (٨) ". صحيح أبي داود -باختصار- (٧/ ٢٧٦-٢٧٧، ح برقم ٢٢٧٢).

قلت: لفظ حديث أبي أمامة -رضي الله عنه-: قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلا غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **لا شَيْءَ لَهُ**، فَأَعَادَهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **لا شَيْءَ لَهُ**، ثُمَّ قَالَ: **إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**. سنن النسائي برقم (٣١٤٠).

ﭐلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، من كان يريد حرث الآخرة يعمل لله، لا يريد إلا الله ﷻ بهذا العمل، ويريد ثوابه من الله ﷻ، فإذا كان يريد بأي عمل من الأعمال ثناء الناس أو أمرًا من الدنيا، فماله في الآخرة من نصيب.

نقرأ هذه الآيات، ونقرأ هذه الأحاديث، ولكن آثارها ضعيفة! حاولوا أن يكون لهذه الأحاديث وهذه الآيات آثارها في نفوسنا وفي قلوبنا؛ لأن الله ما خلقنا -يا إخوتاه- إلا لغاية عظيمة هي عبادته ﷻ، وعبادته هذه يجب أن تكون خالصةً لله .

✍ سأذكر لكم بعض الأحاديث عن فوائد التجرد لله والإخلاص لله في الدنيا وفي الآخرة:

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمْ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَىٰ غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَىٰ فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللهَ تَعَالَىٰ بِهَا لَعَلَّ اللهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ.**

فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَىٰ عَلَيْهِمْ فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ وَأَنَّهُ نَأَىٰ بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّىٰ أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّىٰ طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَىٰ مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ.

وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّىٰ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَتَعِبْتُ حَتَّىٰ جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ يَا عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفْتَحْ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ عَنْهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً فَفَرَجَ لَهُمْ.

وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ فَلَمَّا

قَضَىٰ عَمَلَهُ قَالَ أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّىٰ جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا فَجَاءَنِي فَقَالَ اتَّقِ اللهَ وَلا تَظْلِمْنِي حَقِّي قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَىٰ تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ إِنِّي لا أَسْتَهْزِئُ بِكَ خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ فَفَرَجَ اللهُ مَا بَقِيَ»[1].

هذه ثمرة صلاح القلوب واستقامة القلوب وإخلاص القلوب.

فالأول وصل إلىٰ البر إلىٰ درجة أظنه لا يسبقه إليها إلا الأنبياء، ما أظن أحدًا يسبقه إلىٰ هذا المستوىٰ، وإلىٰ هذا الخلق العالي من البر بالأبوين، من يستطيع أن يفعل مثل هذا؟ يذهب طول النهار إلىٰ أبعد مكان، يَرعىٰ النَّعَم، ثم يرجع في منتصف الليل أو كذا وإذا بأبويه نائمين، فيحلب

---

(١) رواه البخاري: (٢٢١٥، ٢٢٧٢، ٢٣٣٣، ٣٤٦٥، ٥٩٧٤)، ومسلم (٢٧٤٣).

فيجدهما نائمين، فيظل القَدَح علىٰ يده، ما يوقظهما ولا يقدّم عليهما أهله ولا ماله، أولاده يتباكون عند قدمه لا يلتفت إليهم، كل ذلك لله ﷻ وبرًّا بالوالدين ووفاءً بحقهما، من يفعل منا مثل هذا؟! لا نستطيع، هذا منتهىٰ البر لكن لماذا؟! لأنه قصد به وجه الله -تبارك وتعالىٰ-، لا لأبويه ، فعل هذا كله ابتغاء وجه الله.

وهذا الإنسان تمكّن من هذه المرأة، وكان يستطيع أن يفعل بها ما يريد، لكنه تركها لله ﷻ، ففطم نفسه من هذه الشهوة الجامحة، وهذا مقامه صعب، لا ينافسه فيه أو لا يستطيعه إلا مثل يوسف -عليه الصلاة والسلام-، أمرٌ عظيم، ما هو سهل، كل ذلك فعله لماذا؟! ما الذي حجزه أن يواقع الفاحشة بهذه المرأة؟! إلا خوف الله وخشية الله وتَرَكَها لوجه الله -تبارك وتعالىٰ-؟ فهذا من ثمار الإخلاص في الدنيا، وفي الآخرة أعظم وأعظم عند الله -تبارك وتعالىٰ-.

وذلك الأمين الوفيّ، نمّىٰ أجر هذا الأجير - في بعض

الروايات- أنه فرق من البر أو من الشعير[1]، كَوَّن منه مالًا إبلًا بقرًا غنمًا عبيدًا رقيقًا، ثم جاء ذاك بعد حين، يمكن من بعد ٢٠ سنة، ٣٠ سنة، ٤٠ سنة، لأنّ الأولين كانت أعمارهم تطول، يمد الله في أعمارهم، فبقي دهرًا ينمّي مال هذا الأجير، من فرق من الأرز، قد لا يساوي إلا دُريهمات، وإذا بها أموالٌ لا أول لها ولا آخر من الإبل والغنم والبقر والرقيق، ويأتي الأجير ويقتاد هذه الأشياء كلها لم يترك منها شيئًا، وهذا ينظر، لماذا فعل كل هذا؟!

---

(١) في رواية للبخاري برقم (٢٢١٥) قال: «بفرق من ذرة». وعند الطبراني في الدعاء (١٩٦) من رواية عبد الله بن أبي أوفى -رضي الله عنه-: « **ثم قال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت قوما يحرث كل رجل منهم بنصف درهم، فلما فرغوا أعطيتهم أجورهم، فقال أحدهم: والله لقد عملت عمل اثنين، والله لا آخذ إلا درهمًا**». وللنقاش في "فنون العجائب" (ص ١٠٠، برقم ٤٨) من رواية أبي هريرة -رضي الله عنه-: «**قَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي عَمِلَ لِي عَامَلٌ عَلَىٰ صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ**» وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٦٢): " رواه البزار والطبراني في الأوسط بأسانيد ورجالُ البزار وأحد أسانيد الطبراني رجالهما رجال الصحيح ". وانظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٠٧).

لله رب العالمين، من يفعل منا مثل هذا؟! من يستطيع؟!

قد يأتيه الأجير ويقول له لي فرق من الشعير فيقول خذ فرق من الشعير، خذ فرقين من الشعير أو ثلاثة أيضًا، أما إبل! بقر! غنم! عبيد! حاجات! كل هذه يذهب بها ! هذا من الصعب علىٰ النفوس المؤمنة فضلًا عن غيرها.

فهذه من ثمار الإخلاص، ومن نتائج الإخلاص لله وناشئ عن قلوب سليمة، قلوب منيبة، مرتبطة بالله، تحبه وتخشاه وتراقبه، وتُجلّه وتعظّمه وإلا هذه الأمور ليست بسهلة علىٰ النفس، ولا سيما والنفس ميالةٌ للشر، طمّاعة في الدنيا.

هناك أحاديث فيما يقابل هذا تبين نتيجة ما ينافي الإخلاص لله -تبارك وتعالىٰ- يجب أن نستفيد منها، من ذلك قول النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُقْضَىٰ عَلَيْهِ رَجُلٌ اُسْتُشْهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيُؤْتَىٰ بِهِ فَيُعَدِّدُ اللهُ عَلَيْهِ نِعَمَهُ، فَيَقُولُ: مَاذَا فَعَلْتَ فِيهَا، فَيَقُولُ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اُسْتُشْهِدْتُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، إِنَّمَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لِيُقَالَ: جَرِيءٌ وَقَدْ قِيلَ، اِذْهَبُوا بِهِ، فَأُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ إِلَىٰ النَّارِ فَقُذِفَ فِيهَا».

ورجلٌ قاتل في سبيل الله -كما يزعم-، استُشهِد، ويقول:

ها أنا ذا أمام الله -تبارك وتعالىٰ-، ولكن ربنا الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لا يخفي عليه ما انطوىٰ عليه قلب هذا الرجل الذي هو في نظر الناس شهيد وبطل، وربما كان يقال في الدنيا الشهيد الفلاني البطل الفلاني، قال: هذا جزاؤك، أنت كافيك هذا المدح، وهذا الإطراء وهذا الثناء ليقال فلان جريء وبطل إلىٰ آخره، فقد قيل ذلك، هذا جزاؤك، ثم أمِر به فسُحِب إلىٰ النار فقُذِف فيها -والعياذ بالله.

«ويؤتىٰ بمن تعلَّم الْعِلْمَ وَالْقُرْآنَ، فَيُعَدِّدُ اللهُ عَلَيْهِ نِعَمَهُ، فَيُقَالُ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ فَيَقُولُ: تَعَلَّمْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمْتُهُ، تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَتَعَلَّمْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، فَقَالَ: كَذَبْتَ إِنَّمَا تَعَلَّمْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: قَارِئٌ، وَتَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَدْ قِيل»، يعني فهذا جزاؤك، الغاية التي كنت تطمح إليها، وترمي إليها تحققت لك في الدنيا، وهذا هو جزاؤك، فيؤمر به فيُسحَب إلىٰ النار، فأين تلاوة القرآن؟! وأين تعليم العلم؟! وأين ذاك الكد والتعب؟! فنسأل الله العافية ونعوذ بالله.

ويؤتي بآخر ثالث، كان جوادًا وعنده أموال، يؤتىٰ به عند

الله، «فَيُعَدِّدُ اللهُ عَلَيْهِ نِعَمَهُ فَيَعْتَرِفُ بِهَا، فَيَقُولُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلا أَنْفَقْتُ فِيهَا، - كالجهاد في سبيل الله، كالصدقة على الفقراء، وعلى المساكين، وصلة ذوي القربى، وصلة الأرحام وإلى آخره- «مَا مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلا أَنْفَقْتُ فِيهَا، فَيُقَالُ: كَذَبْتَ، وَإِنَّمَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، وَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ إِلَى النَّارِ»(١).

هذه الجهود كلها، واحد استشهد في سبيل الله، والشهداء أعد الله لهم أعلى المنازل، إلى أن ينال بعض الشهداء مئات الدرجات عند الله -تبارك وتعالى- بالإخلاص(٢)، وهذا ما

---

(١) رواه مسلم برقم (١٩٠٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كما في الحديث الصحيح : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض » رواه البخاري برقم (٢٧٩٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ونحوه عند مسلم برقم (١٨٨٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الذي ضيّع عليه؟! وقلب المسألة رأسًا علىٰ عقب، بدل أن تُرفع له درجات في الجنة، يُسحب إلىٰ النار وقد يكون له فيها دركات، بسبب سوء القصد وسوء النية والرياء وحب الظهور، وما شاكل ذلك.

وهذا يكدّ، يحفظ في القرآن، ويقوم به آناء الليل، وأطراف النهار، ويُعلّم العلم وإلىٰ آخره، العلماء ورثة الأنبياء(١)، ولهم

---

(١) إشارة لما جاء في حديث أبي الدرداء -رضي الله عنه- في فضل العلم؛ الحديث رواه أحمد (٥/١٩٦)، وأبو داود برقم (٢٦٤١) و(٢٦٤٢)، والترمذي برقم(٢٦٨٢)، وابن ماجه برقم (٢٢٣)، وابن حبان في صحيحه (١/٢٨٩، ٨٨)، قال السخاوي: "صححه ابن حبان والحاكم وغيرهما، وحسنه حمزة الكناني، وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها، ولذا قال شيخنا -يعني: ابن حجر-: له طرق يعرف بها أن للحديث أصلاً. انتهى". المقاصد الحسنة (ص٢٩٣، ح برقم ٧٠٣) وانظر: "فتح الباري" لابن حجر (١/١٦٠)، وحسّن الألباني إسناده في تعليقه على «مشكاة =

منازل عند الله، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، يعني في الجنة، وبعد هذا ما مصيره؟! ما السبب؟! ما هو إلا من القلب الفاسد، والنية السيئة، والاستقامة والإخلاص أمر يسيرٌ علىٰ من يسره الله عليه.

يعني من السهل أن الإنسان يقول إن الناس لا ينفعوني بشيء! ويضع نصب عينيه مثل هذا الحديث، والله أنا أخاف إن كنت مجاهدًا أن يكون مصيري مثل هذا الذي حدثنا عنه رسول الله ﷺ[1]، وإن كان عالمًا أو متعلمًا فوالله أخاف أن

=

المصابيح» (٧٤/١)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧/١، برقم ٧٠).

(١) روىٰ ابن جرير في التهذيب – الجزء المفقود- (١٠٢٨)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٣٤) ومن طريقه ابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص ١٧٤) عن بريدة بن الحصيب -رضي الله عنه- قال: "شهدت مع رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم- فتح خيبر، فكنت في أول من دخل مدينة خيبر، فقاتلت حتىٰ رئي مكاني، وعليَّ ثوب أحمر، فما علمت أني ركبت في الإسلام ذنبًا أعظم منه للشهرة!".

يكون هذا مصيري -والعياذ بالله -، ثم يفضحه الله يوم القيامة(١).

وهذا الذي يبذل أموال يجب أن يضع نصب عينيه الإخلاص لله -تبارك وتعالىٰ- وأنه إن انحرف قليلًا في قصده

---

(١) أخرج الإمام أحمد في المسند (١/ ١٨، برقم ١١١)، ومن طريقه ابن الجوزي في القصاص والمذكرين (٥٣)، والضياء في [المختارة] برقم (١٠٦) وصححه: عَنِ الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْكِنْدِيِّ أَنَّهُ رَكِبَ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَسْأَلُهُ عَنْ ثَلاثِ خِلالٍ - فذكر منها-: الْقَصَصِ، -قال-: فَإِنَّهُمْ أَرَادُونِي عَلَىٰ الْقَصَصِ؟ فَقَالَ عمر: مَا شِئْتَ، كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَمْنَعَهُ. قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَنْتَهِيَ إِلَىٰ قَوْلِكَ؟ قَالَ: أَخْشَىٰ عَلَيْكَ أَنْ تَقُصَّ فَتَرْتَفِعَ عَلَيْهِمْ فِي نَفْسِكَ، ثُمَّ تَقُصَّ فَتَرْتَفِعَ حَتَّىٰ يُخَيَّلَ إِلَيْكَ أَنَّكَ فَوْقَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الثُّرَيَّا، فَيَضَعَكَ اللهُ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَدْرِ ذَلِكَ.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٤٤٩): "رواه أحمد. والحارث بن معاوية الكندي وثقه ابن حبان وروىٰ عنه غير واحد، وبقية رجاله من رجال الصحيح".

سيكون هذا مآله[١]، فنعوذ بالله، هذه أمور دقيقة[٢] يا إخوتاه، تحتاج إلىٰ ملاحظة، وتحتاج إلىٰ رعاية، وتحتاج إلىٰ جهاد[٣]، وقد كان خيار السلف يتململون من عزوب النية

---

(١) قال الحسن البصري -رحمه الله-: «كان الرجل إذا همّ بصدقة تثبّت، فإن كان لله مضىٰ، وإن خالطه شك أمسك». رواه الطبري في تفسيره (جامع البيان) (٥/ ٥٣٣، برقم ٦٠٧١).

(٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري -رضي الله عنه- قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قَالَ: قُلْنَا: بَلَىٰ. فَقَالَ: الشِّرْكُ الْخَفِيُّ؛ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ. أخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٠٤). وحسن إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٢٣٧). والألباني في صحيح الترغيب (١/ ٨، برقم ٣٠).

(٣) قال الحسن البصري - رحمه الله-: « رَحِمَ اللهُ عَبْدًا وقف عِنْدَ هَمِّهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَعْمَلُ حَتَّىٰ يَهُمَّ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَمْضَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا كَفَّ عَنْهُ». رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ٤٩٨)، وروٰه البيهقي في [شعب الإيمان] برقم (٧٢٧٩) بغير هذا اللفظ.

=

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله- شارحًا هذا الأثر: [وشرح هذا بعضهم فقال: إذا تحركت النفس لعمل من الأعمال وهَمَّ به العبد، وقف أوّلاً ونظر: هل ذلك العمل مقدور له، أو غير مقدور ولا مستطاع؟ فإن لم يكن مقدورًا لم يقدم عليه، وإن كان مقدورًا وقف وقفة أخرىٰ ونظر: هل فعلُه خير له من تركه، أو تركه خير له من فعله؟ فإن كان الثاني تركه ولم يقدم عليه، وإن كان الأول وقف وقفة ثالثة ونظر: هل الباعث عليه إرادة وجه الله عز وجل وثوابه، أو إرادة الجاه والثناء والمال من المخلوق؟ فإن كان الثاني لم يقدم عليه، وإن أفضىٰ به إلىٰ مطلوبه، لئلا تعتاد النفس الشرك، ويخفّ عليها العمل لغير الله؛ فبقدر ما يخف عليها ذلك يثقل عليها العمل لله تعالىٰ، حتىٰ يصير أثقل شيء عليها. وإن كان الأول وقف وقفة أخرىٰ، ونظر: هل هو مُعان عليه، وله أعوان يساعدونه وينصرونه إذا كان العمل محتاجًا إلىٰ ذلك أم لا؟ فإن لم يكن له أعوان أمسك عنه، كما أمسك النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن الجهاد بمكة حتىٰ صار له شوْكة وأنصار، وإن وجده مُعانًا عليه فليقدم عليه فإنه منصور. ولا يفوت النجاح إلا مَنْ فَوَّتَ خصلة من هذه الخصال، وإلا فمع اجتماعها لا يفوته النجاح.

فهذه أربع مقامات يحتاج إلىٰ محاسبة نفسه عليها قبل العمل؛ فما كل ما يريد العبد فعله مقدورًا له، ولا كل ما يكون مقدورًا له يكون فعله خيرًا له =

ومن تفلّتها عن الإنسان، ومن تفلّت حسن القصد[1]، كيف بنا نحن الغافلين الساهين الذاهلين؟؟

فنسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يرزقنا وإياكم قلوبًا سليمة، وأن يجنّبنا أخلاق الكافرين والمنافقين والمرائين.

إن ربنا لسميع الدعاء، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

= من تركه، ولا كل ما يكون فعله خيرًا له من تركه يفعله لله، ولا كل ما يفعله لله يكون معانًا عليه، فإذا حاسب نفسه علىٰ ذلك تبين له ما يقدم عليه وما يحجم عنه». إغاثة اللهفان (١/ ٨١-٨٢).

(١) روىٰ أبو نعيم في الحلية (٧/ ٦٤) و(٨/ ١١٤): عن أحمد بن عاصم قال: التقىٰ سفيان والفضيل، فتذاكرا فبكيا، فقال سفيان: إني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة.

فقال له فضيل: لكني أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه شؤمًا، أليس نظرت إلىٰ أحسن ما عندك، فتزينت به لي، وتزينت لك، فعبدتني وعبدتك؟ فبكىٰ سفيان حتىٰ علا نحيبه، ثم قال: أحييتني أحياك الله. وانظر: السير للذهبي (٧/ ٢٦٧).

راجع هذا التفريغ ثم عرضه على

الشيخ/ ربيع بن هادي عمير المدخلي -حفظه الله-

أخوكم:سلطان بن محمد الجهني

بتاريخ: (١٩/ ٦/ ١٤٢٧هـ) الموافق

١٥/ ٧/ ٢٠٠٦م)

اعتنى بهذه المادة إخوانكم بدار

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

برج الكيفان - الجزائر

التوزيع: جوال: 554250098 / 668885732 (00213) تلفاكس: 21828736 (00213)

البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com

الفهرس

* * *